

## التربية حب وثقة

جاء في كتب السيرة : أن المشركين في مكة ضربوا أبا بكر ضرباً شديداً ، دنا منه عتبة بن ربيعة ، فجعل يضربه بتعلين مخصوفين ويجرفهما لوجهه ، ونزا على بطن أبي بكر حتى ما يعرف وجهه من أنفه ، وحملت بنو تميم أبا بكر في ثوب حتى أدخلوه منزله ولا يشكون في موته ، فتكلم آخر النهار فقال : ما فعل رسول الله ﷺ فمسوا منه بالسنتهم وعذلوه ، ثم قاموا وقالوا لأمه أم الخير : انظري أن تطعميه شيئاً أو تسقيه إياه ، فلما خلت به ألحت عليه ، وجعل يقول : ما فعل رسول الله ﷺ ؟ فقالت : والله لا علم لي بصاحبك ، فقال : اذهبي إلى أم جميل بنت الخطاب فاسأليها عنه ، فخرجت حتى جاءت أم جميل فقالت : إن أبا بكر يسألك عن محمد بن عبد الله ، قالت : ما أعرف أبا بكر ولا محمد بن عبد الله ، وإن كنت تحبين أن أذهب معك إلى ابنك ذهبت ، قالت : نعم ، فمضت معها حتى وجدت أبا بكر صريعاً دنفاً ، فذنت أم جميل وأعلنت بالصياح وقالت : والله إن قوما نالوا هذا منك لأهل فسق وكفر ، وإني لأرجو أن ينتقم الله لك منهم ، قال : فما فعل رسول الله ﷺ ؟ قالت : هذه أمك تسمع ، قال : فلا شيء عليك منها ، قالت : سالم صحيح ، فقال : أين هو ؟ قالت : في دار الأرقم . قال : فإن الله عليّ ألا أذوق طعاماً ولا أشرب شراباً حتى آتي رسول الله ﷺ ، فأمهلنا حتى إذا هدأت الرجل وسكن الناس ، خرجتاه يتكئ عليهما ، حتى أدخلتاه على رسول الله ﷺ <sup>(١)</sup> .

## لا تربية بغير حب :

هذه لوحة معبرة تحمل في ثناياها الكثير من الفوائد التربوية التي يحتاجها الداعية في طريق الدعوة .

(١) البداية والنهاية ٣/ ٣٠ .

\* فهذه أم جميل تتكتم عن مكان النبي ﷺ حتى تتأكد وتستوثق بنفسها من أبي بكر شخصيا ، فقد كانت مرحلة خاصة تحتاج لمثل هذه التربية وهذا الكتابان .

\* ويشارف أبو بكر على الموت ، ومع ذلك فلا يطعم طعاما ولا يذوق شرابا حتى يطمئن أن رسول الله بخير ، بهذا الحب الذي لا مثيل له ، الذي نشأ بين النبي وأصحابه ، تحولت التعاليم التي تنطلق من فم القائد، إلى سلوك اصيل يتخلق به الأتباع .

وعلى الدعاة المربين الذين يحبون أن يقتدوا بقائدهم ، أن يؤسسوا الحب مع إخوانهم ويبنوا الثقة فيما بينهم . وهل التربية إلا ثقة وحباً ؟

هكذا فعل المعلم الأول وهو يربي أصحابه ، وهكذا فلتفعل الأجيال المسلمة وهي تقتدي بفعل المعلم الأول ﷺ .

## بين أبي قتادة وخالد بن الوليد

من الأحداث التي شغلت المسلمين أيام حروب الردة ، والتي أصبحت فيما بعد مادة خصبة لخيال القصاصين - الذين أحبوا أن ينالوا من صورة عظماء الصحابة أمثال عمر بن الخطاب وخالد بن الوليد (رضي الله عنهما) - قصة سيدنا خالد بن الوليد ﷺ قائد جيش المسلمين مع مالك بن نويرة أحد أبطال الردة .

خلاصة القصة : أن ضرار بن الأزور ﷺ قتل مالكا بأمر من خالد ، بعد أن أصرّ مالك على موقفه فقال : أنا آتي بالصلاة دون الزكاة ، فقال له خالد : أما علمت أن الصلاة والزكاة معا ، لا تقبل واحدة دون الأخرى ، فقال مالك : قد كان صاحبكم يقول ذلك ، قال خالد : أو ما تراه لك صاحباً ؟

وكان عبد الله بن عمر وأبو قتادة الأنصاري (رضي الله عنهما) حاضرين ، فكلما خالداً في أمره . فكره كلامهما ، فقال مالك : يا خالد ابعثنا إلى أبي بكر فيكون هو الذي يحكم فينا ، فقال خالد : لا أقالني الله إن أقلتك .

وزادت حماسة أبي قتادة لرأيه ، وخالف قائده وفارق الجيش ، ذاهباً إلى الخليفة شاكياً له أمر خالد في شأن مالك ، وأقسم لا يقاتل تحت راية خالد أبداً ، فلم يكن من الخليفة الراشد إلا أن ردّ أبا قتادة إلى جيشه جندياً تحت راية أميره وقائده خالد بن الوليد ﷺ كما كان ، ولم يفتح باب شكاية الجند لقوادهم والخروج عليهم حتى يحقق الأمر بنفسه بعد عودة القائد بجيشه .

وهذه سياسة من أحكم وأحزم السياسات التي حرصت الدولة الإسلامية في أول عهدها من الانقسام والفساد .

أما عبد الله بن عمر رضي الله عنه، فاكتمى بأن أظهر رأيه في القضية ولم يصحب إنكاره بالخروج على الصف ، وهذا من فقه ابن عمر رضي الله عنه <sup>(١)</sup> .

في هذه القضية عبرة للصف المسلم .

فحرية الرأي : مطلب إنساني وحضاري ، يهم الأفراد كما يهم الشعوب والجماعات ، تكفله الشريعة الغراء ، كما تكفله القوانين وشرائع حقوق الإنسان . والانتفاء إلى (الجماعة) ، يقتضي قدرا من التنازل عن الآراء الذاتية للفرد ، ليبدو منسجما مع رأي الجماعة ملتزما به . فلم ينكر الخليفة الراشد على أبي قتادة أو عبد الله بن عمر (رضوان الله عليهم أجمعين) رأيهما ، ولكنه أنكر على أبي قتادة خروجه على الصف ، وتحريضه على خالد ، وتركه الجيش .

لنفرض أن رأي أبي قتادة كان صحيحا ، وأن القائد هو المخطئ ، وفعل كل جندي في الجيش ما فعله هذا الصحابي الجليل ، فهل يبقى معنى للجندية أو الالتزام ، وهل يتقوى الجيش بمثل هذا التصرف أم ينهار؟!

في غزوة أحد انسلك عبد الله بن أبيّ عن جيش المسلمين ورجع بثلاث الجيش ، وقال عن رسول الله ﷺ : أطاع الأحداث وعصاني ، ورأي عبد الله بن أبيّ يومئذ ، كان يوافق رأي رسول الله ﷺ الذي قصّ رؤياه على أصحابه فقال : « رأيت أني أدخلت يدي في درع حصينة ، وإنّي أولتها المدينة » ، ولكن خروج رسول الله ﷺ والجيش معه كان ثمرة الشورى العامة ، فاستجاب لها القائد ، وأصرّ ابن أبيّ على عصيانه .

ليست القضية الرأي والرأي الآخر ، فحرية ذلك مصانة ، بل ضرورة (في الإطار المناسب) لإنضاج الفكرة وتمكين شجرة الشورى من اتخاذ القرار الأصوب والأسلم ، ولكن القضية هي حرية الرأي ضمن مصلحة الجماعة ، ومصلحة الجماعة قررها في حادثتنا هذه الخليفة أبو بكر رضي الله عنه ، عندما أعاد أبا قتادة جنديا تحت إمرة خالد .

هكذا كان عظاما يفعلون ، وكذلك ينبغي على الذين يحبون أن يقتدوا بأثارهم أن يفعلوا .

(١) خالد بن الوليد : صادق عرجون ص ١٦٠ .

## الأسوة الحسنة

دخل عمر بن الخطاب رضي الله عنه على رسول الله ﷺ ، فإذا هو مضطجع على رمال حصير ليس بينه وبينه فراش ، قد أثر الرمال بجنبه ، متكئا على وسادة من أدم حشوها ليف ، ورفعت بصري في بيته فوالله ما رأيت في بيته شيئا يرد البصر غير أهبة (مفردها إهاب وتعني الجلد) ثلاثة . فقلت : يا رسول الله ، ادع الله فليوسع على أمتك فإن فارسا والروم قد وسع عليهم وأعطوا الدنيا وهم لا يعبدون الله فجلس النبي ﷺ وكان متكئا فقال : أو في هذا أنت يا بن الخطاب ؟ إن أولئك قوم عجلوا طيبتهم في الحياة الدنيا .

والسؤال : هل كان باستطاعة النبي ﷺ أن يؤثر في أصحابه ، فيغذي أرواحهم برغائب الإيمان ، ويزكي نفوسهم بتعاليم الحكمة والقرآن ، ويربيهم تربية عميقة دقيقة ، يحدو بنفوسهم إلى منازل سمو الروح ، ونقاء القلب ، ونظافة الخلق ، والتحرر من سلطان الماديات ، ومقاومة سلطان الشهوات ، لو لم يكن قدوة لهم في كل ذلك ؟

إن القدوة هي أرقى أنواع التربية ، فالقدوة واقع حي ملموس يدعو إلى الامتثال بالعمل قبل القول ، فلسان الحال أبلغ من لسان المقال . ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ۖ ﴾ <sup>(١)</sup> .

لقد كان رسول الله ﷺ أسوة لأصحابه في كل ما كان يدعوهم إليه ، وكذلك ينبغي أن يكون المربون ، قدوة عملية لمن يربونهم .

أيظن المربون الذين يعيشون في أبراجهم ، يرفلون بأثواب النعيم ويتقلبون في لذائذ الحياة ، أنهم يؤثرون بالآخرين عندما يحدثونهم عن المبدأ والتضحية ؟

(١) الأحزاب .

## الفاروق يقبل رأس عبد الله بن حذافة السهمي

تناهت إلى قيصر عظيم الروم أخبار جند المسلمين ، وما يتحلون به من صدق الإيمان ورسوخ العقيدة واسترخاض النفس في سبيل الله ورسوله ، فأمر رجاله ، إذا ظفروا بأسير من أسرى المسلمين ، أن يبقوا عليه ، وأن يأتوه به حيًّا . وشاء الله أن يقع رسول الله ﷺ إلى كسرى عبد الله بن حذافة السهمي أسيرًا ، فحملوه إلى الملك .

ودار بين قيصر الروم ، وبين الأسير المسلم حوار بليغ عظيم .

قال ملك الروم : إني أعرض عليك أن تنتصر ، فإن فعلت ، خلّيت سبيلك وأكرمت مثواك .

قال الأسير : هيهات ، إن الموت لأحب إليّ ألف مرة مما تدعوني إليه .

قال ملك الروم : إني لأراك رجلاً شهياً ، فإن أجبتني أشركتك في سلطاني .

قال الأسير : والله لو أعطيتني جميع ما تملك ، وجميع ما ملكته العرب على أن أرجع عن دين محمد ﷺ طرفه عين ما فعلت . قال : إذن أقتلك . قال : أنت وما تريد ، ثم أمر به فصلب ، وقال لقناصته (بالرومية) : ارموه قريباً من يديه ، وهو يعرض عليك التنصر فأبى . قال : ارموه قريباً من رجله ، وهو يعرض عليه مفارقة دينه فأبى .

عند ذلك أمرهم أن ينزلوه ، ثم دعا بقدر عظيمة فصبّ فيها الزيت ورفعت على النار حتى غلت ثم دعا بأسيرين من أسارى المسلمين ، فأمر بأحدهما أن يلقي فيها فألقي ، فإذا لحمه يتفتت . وإذا عظامه تبدو عارية ، ثم التفت إلى عبد الله بن حذافة السهمي ودعاه إلى النصرانية ، فكان أشدّ إباء لها من قبل . فلما يئس منه ، أمر به أن يلقي في القدر فدمعت عيناه ، فظن أنه قد جزع فقال : ردّوه إليّ ، فلما عرض عليه النصرانية فأباه ، قال له : وما أبكاك إذن؟

قال : كنت أشتهي أن يكون لي بعدد ما في جسدي من شعر أنفُس فتلقى كلها في هذا القدر في سبيل الله، قال القيصر: هل لك أن تقبل رأسي وأخلى عنك؟ فقال عبد الله: وعن جميع أسارى المسلمين أيضا؟ قال: وعن جميع أسارى المسلمين - أيضا - قلت في نفسي: عدوّ من أعداء الله، أقبل رأسه فيخلى عني وعن أسارى المسلمين جميعا، لا ضير في ذلك عليّ. ثم دنا منه وقبّل رأسه، فأمر ملك الروم بإطلاق سراح جميع أسارى المسلمين.

قدم عبد الله بن حذافة السهمي رضي الله عنه على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقصّ عليه الحكاية. قال عمر: حقّ على كل مسلم أن يقبل رأس عبد الله، وأنا أبداً بذلك، ثم قام وقبّل رأسه <sup>(١)</sup>.

سيقول المنتطعون: كيف يفعل الصحابي ذلك فيقبل رأس ملك كافر؟ ولا شك أن عبد الله رضي الله عنه قد وعى قول النبي ﷺ: «هلك المنتطعون»، ففعل ما فيه مصلحة المسلمين.

هكذا ربي محمد ﷺ أصحابه: يتمسكون بعقيدتهم، ولا يتنازلون عنها طرفة عين مقابل ملك العرب والعجم، ولكنهم يقدرّون المواقف وقد يتنازلون عن أمور جانبية ترضي أعداء الله، ولا تمسّ العقيدة، يفعلون ذلك لمصلحة أنفسهم وبقية المسلمين. وهكذا فليفعل المربون.

---

(١) صور من حياة الصحابة: د. عبد الرحمن الباشا ٥٦/١.

## عمر بن الخطاب ؓ يطالب أهله

عن ابن عمر ؓ قال : كان عمر ؓ إذا أراد أن ينهى الناس عن شيء تقدم إلى أهله فقال : لا أعلمن أحدا وقع في شيء مما نهيت عنه إلا أضعفت له العقوبة <sup>(١)</sup> .

وهذه اللوحة تسجل في صحائف عمر ؓ ، الخليفة العادل ، الذي لا يجب أن يرى هو أو أحد من أهله حيث نهى الخليفة عباد الله أن يكونوا ، مصداقا للهدى الرباني : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿١﴾ .

نعم إنها من اللوحات الخالدة في سجل سيدنا عمر بن الخطاب ؓ . ولكنها في نفس الوقت يمكن أن تعتبر إحدى اللوحات التي تخص المرأة المسلمة ، فعندما تكون إحداهن زوجة لواحد من هؤلاء المسؤولين عن شؤون المسلمين ، ومن ثم تدرك عظم مسؤولياتها في بيتها تجاه زوجها القائد ، وتجاه المجتمع المسلم الذي ينظر إلى القائد كقدوة ، فإذا تصرف القائد أو أهله تصرفا - ولو صغيرا - في الاتجاه الخاطئ ، فكم من العيون سترمقه ، وكم من الألسن ستلسعه؟! إذا فعلت المرأة ذلك انطبق عليها قولهم : وراء كل عظيم امرأة .

في عالم السياسة الميكيفيلية ، يحكم على السياسي الناجح من خلال مواقفه العامة ، بينما قد يكون من أفسد الناس في علاقاته الخاصة .

والشائع في عالم السياسة أنه لا علاقة بين الحاليتين . أما زوجة السياسي الذي من هذا الصنف فقد جاءتها الفرصة لتسخّر الدولة وإمكاناتها لمصلحتها ، فتصبح السيدة الأولى

(١) كثر العمال (٢ / ١٤١) .

(٢) الصف .

التي تتابعها عدسات المصورين في كل تحركاتها ، وهذا من الخلل الذي لا يقره الإسلام ، بل ويعتبره من أسس البلاء ، فالوسائل والغايات ينبغي أن تكون على نفس القدر من الاعتبار والنظافة ، والإثناء القدر لا ينضح إلا فسادا ، والإثناء النظيف لا ينضح إلا عدلا .

ومن هنا كانت مسؤولية المرأة المسلمة العاملة في ميدان الدعوة ، أن تقف مع زوجها ، تعينه في عمله ، وتلتزم بالأمور العامة بمنتهى الحزم والعزم ، فلا يرى الناس فيها ثغرة مهما صغرت ينالون فيها من الحاكم أو القائد ، وهكذا فالمرأة بقدر مسؤوليتها ومسؤولية زوجها تتسع الثغرة التي تقف حارسة عليها .

هذه هي تعاليم الإسلام عبّر عنها سيدنا عمر رضي الله عنه الذي نهل من معين التربية النبوية ، وهكذا ينبغي على المربين أن يفعلوا .

## بؤساً لعمر! كم قتل من أطفال المسلمين

أخرج ابن سعد وأبو عبيدة وابن عساكر عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قدمت رفقة من التجار فنزلوا المصلى فقال عمر لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما : هل لك أن نحرسهم الليلة من السرقة؟ فباتا يحرسانهم ويصليان ما كتب الله لهما ، فسمع عمر ﷺ بكاء صبي فتوجه نحوه فقال لأمه : اتقي الله وأحسني إلى صبيك ! ثم عاد إلى مكانه . فسمع بكاءه فعاد إلى أمه فقال لها مثل ذلك ، ثم عاد إلى مكانه .

فلما كان في آخر الليل سمع بكاءه فأتى أمه فقال : ويحك! إني لأراك أم سوء ، مالي أرى ابنك لا يقر منذ الليلة! قالت : يا عبد الله قد أبرمتني هذه الليلة إني أربعه على الفطام فيأبى ، قال : ولم؟ قالت : لأن عمر لا يفرض إلا للفطيم ، قال : وكم له؟ قالت : كذا وكذا شهرا ، قال : ويحك! لا تعجله! فصلى الفجر وما يستئين الناس قراءته من غلبة البكاء ، فلما سلّم قال : يا بؤساً لعمر! كم قتل من الأولاد المسلمين! ثم أمر مناديا فنادى : ألا! لا تُعجلوا صبيانكم عن الفطام! فإننا نفرض لكل مولود في الإسلام <sup>(١)</sup> .

أبطال لوحتنا اثنان ، امرأة تحاول فطام ابنها حتى ينال عطاءه فالخليفة لا يفرض إلا للفطيم .

والخليفة عمر بن الخطاب ﷺ الذي أهمه بكاء طفل من المسلمين ، وبعدما علم أن قانونه السابق الذي لم يفرض بموجبه عطاء إلا للطفل الفطيم هو سبب تعاسة هذا الطفل وأمثاله . بكى وندم وعاد عن خطئه ففرض لكل مولود .

(١) كثر العمال (٢/٣١٧) .

واللوحة - توضح دور القيادة الراشدة - التي تسهر على مصالح الخلق ، وتوضح كذلك دور المرأة الفاعل الإيجابي ، الذي ناقش الخليفة في أمر الطفل فكان سببا في تعديل القانون .

بهذه الروح تستطيع الأخت الداعية المسلمة أن تشارك في قضية الأمة: تطالب بالحقوق، وتتبنى القضايا ، وتحسن الدفاع عنها، وخيركم خيركم لأهله وأمته .

(٢٦)

## سعيد بن عامر ينصح أمير المؤمنين

تَوَلَّى عمر بن الخطاب رضي الله عنه خلافة المسلمين ، فبايعه المهاجرون والأنصار ، وخاف من شدته البعض ، واستبشر بقوته الأكثرون ، وجاءه سعيد بن عامر الجمحي رضي الله عنه يؤدي واجب النصح له ، فالنصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم فقال : يا عمر أوصيك أن تخشى الله في الناس ، ولا تخشى الناس في الله ، وألا يخالف قولك فعلك ؛ فإن خير القول ما صدقه العمل .

يا عمر : أقم وجهك لمن ولاك الله أمره من بعيد المسلمين وقريبهم ، وأحب لهم ما تحب لنفسك وأهل بيتك ، وكره لهم ما تكره لنفسك وأهل بيتك ، وخض الغمرات إلى الحق ولا تخف في الله لومة لائم .

فقال عمر : ومن يستطيع ذلك يا سعيد؟! فقال : يستطيعه رجل مثلك ممن ولاهم الله أمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وليس بينه وبين الله أحد .

هذا هو دور البطانة الصالحة .

\* توظف ميزان التقوى في نفس الحاكم .

\* وتذكر المسؤول بمسؤولياته .

\* وتحذره من أن يخالف قوله فعله : ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ <sup>(١)</sup> .

\* أو أن يفرق بين المسلمين في المعاملة .

---

(١) الصف .

✽ أو أن يضعف أو يتهاون في مهمته .

هكذا كان سعيد بن عامر رضي الله عنه وهو ينصح الخليفة .

وهكذا كان القائد العظيم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو يصغي للنصيحة ، ويقول : لا خير فيكم إن لم تقولوها ، ولا خير فينا إن لم نقبلها .

## سعيد بن عامر والي حمص

اشتكى أهل حمص واليهم سعيد بن عامر رضي الله عنه إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وذكروا أربعة من أفعاله التي أنكروها عليه .

قال عمر : فجمعت بينه وبينهم ، ودعوت الله ألا يحيب ظني فيه ، فقد كنت عظيم الثقة به .

قلت : ما تشكون من أميركم؟ قالوا : لا يخرج إلينا حتى يتعالى النهار . قلت : ما تقول في ذلك يا سعيد؟ .

فسكت قليلا ثم قال : والله إني كنت أكره أن أقول ذلك ، أما وإنه لا بد منه ، فإنه ليس لأهلي خادم ، فأقوم في كل صباح فأعجن لهم عجينهم ، ثم أتريث قليلا حتى يختمر ، ثم أخبزه لهم ، ثم أتوضأ وأخرج للناس .

قال عمر : وما تشكون منه أيضا؟

قالوا : إنه لا يحيب أحدا بليل .

قلت : وما تقول في ذلك يا سعيد؟

قال : إني والله كنت أكره أن أعلن هذا أيضا ، فأنا قد جعلت النهار لهم ، والليل لله عز وجل .

قال عمر : وما تشكون منه أيضا؟

قالوا : إنه لا يخرج إلينا يوما في الشهر .

قلت : وما هذا يا سعيد؟

قال : ليس لي خادم يا أمير المؤمنين ، وليس عندي ثياب غير التي عليّ ، فأنا أغسلها في الشهر مرة وأنتظرها حتى تجف ، ثم أخرج إليهم في آخر النهار .

قال عمر : وما تشكون منه أيضا؟

قالوا : تصيبه من حين إلى آخر غشية فيغيب عمن في مجلسه .

فقلت : وما هذا يا سعيد؟

فقال : شهدت مصرع خبيب بن عدي وأنا مشرك ، ورأيت قريشا تقطع جسده وهي

تقول له : أتحب أن يكون محمد مكانك ؟

فيقول : والله ما أحب أن أكون آمنا في أهلي وولدي ، وأن محمدا ﷺ تشوكه شوكة ،

وإني والله ما ذكرت ذلك اليوم وكيف أني تركت نصرته إلا ظننت أن الله لا يغفر لي ،

وأصابني تلك الغشية . عند ذلك قال عمر : الحمد لله الذي لم يخب ظني به .

وهكذا الناس ضد من تولى الأمور ، حتى ولو كانوا من نوعية سعيد بن عامر ؓ .

(٢٨)

## فاطمة بنت الخطاب

أخرج ابن سعد ، عن أنس رضي الله عنه قال : خرج عمر رضي الله عنه متقلدا السيف فلقى رجل من بني زهرة قال : أين تعمد يا عمر؟

فقال : أريد أن أقتل محمدا . قال : أفلا أدلك على ما هو أعجب من ذلك؟ قال : وما هو؟ قال : أختك وختنك قد صَبَّوا وتركوا دينك الذي أنت عليه .

قال : فمضى عمر ذامرا (متهددا) حتى أتاهما وعندهما رجل من المهاجرين يقال له : خَبَّاب . قال : فلما سمع خَبَّاب حسَّ عمر توارى في البيت ، فدخل عليها فقال : ما هذه الهينة التي سمعتها عندكم؟ فلعلكما قد صبوتما .

فقال له ختنه : أرأيت يا عمر إن كان الحق في غير دينك؟ فوثب عمر على ختنه فوطأه وطأ شديدا ، فجاءت أخته فدفعته عن زوجها فنفحها بيده نفحة فدمى وجهها .

فقالت - وهي غضبي : يا عمر إن كان الحق في غير دينك؟ أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله .

قال عمر : أعطوني هذا الكتاب الذي عندكم فأقرؤه .

فقالت أخته : إنك رجل رجس ولا يمسه إلا المطهرون ، فقم فاغتسل أو توضأ<sup>(١)</sup> .

وهذه لوحة أخرى يذكرها المؤرخون وكتاب السير عندما يتكلمون عن إسلام عمر ، الرجل القوي الذي اعتز الدين بإسلامه ، والذي كان لا يسلك شعبا إلا وسلك الشيطان شعبا آخر ، لوحة تضم فاطمة بنت الخطاب ، المرأة التي دافعت عن زوجها المؤمن (سعيد

---

(١) حياة الصحابة ١ / ٤٣٧ .

ابن زيد)، وتقول لأخيها بكل قوة : يا عمر ، إن كان الحق في غير دينك ، وتحمل الضرب والإهانة ولا تتنازل عن دينها ، وعندما أراد أخوها تناول الصحيفة أبت وقالت : بل أنت رجل رجس .

وأدرك عمر أن المعنى الذي أحال فاطمة بنت الخطاب إلى ما صارت إليه ، من القوة والبأس بحيث تردعه وتأبى عليه ، بل وتأمره بأن يتطهر إن أراد قراءة الصحيفة ، لمعنى عظيم . فرأى في نفسه الجبارة في الجاهلية ، تستسلم لقوة أخته المسلمة وليس بدعا هذا ، فالحق غلاب ، والإسلام أغلب .

وإذا كان رسول الله ﷺ قد دعا أن ينصر الله الإسلام بأحب العمرين إليه ، فإن مفتاح إسلام عمر كان أخته فاطمة بنت الخطاب والفضل لمن سبق .

## ليعلم أني لم أخنه في الغيب

أخرج عبد الرزاق عن ابن جريج قال : أخبرني من أصدق أن عمر رضي الله عنه بينا هو يطوف سمع امرأة تقول :

تطاول هذا الليل تسري كواكبه وأرقني أن لا حبيب ألاعبه  
فوالله لو لا الله تخشى عواقبه لرحح من هذا السرير جوانبه  
ولكني أخشى - رقيبا موكلا بأنفسنا لا يفتر الدهر كاتبه  
مخافة ربي والحياء يصدني وأكرم بعلي أن تنال مراتبه

فقال عمر رضي الله عنه : مالك؟ قالت : أغربت زوجي منذ أشهر، وقد اشتقت إليه . قال : أردت سوءا؟ قالت : معاذ الله . قال : فاملكي عليك نفسك ، فإنها هو البريد إليه . فبعث إليه ، ثم دخل على حفصة رضي الله عنها، فقال : إني سائلك عن أمر قد أهتمني فافرجيه عني ، في كم تشتاق المرأة إلى زوجها ؟

فخفضت رأسها واستحييت . قال : فإن الله لا يستحيي من الحق ، فأشارت بيدها ثلاثة أشهر وإلا فأربعة أشهر . فكتب عمر رضي الله عنه ألا تحبس الجيوش فوق أربعة أشهر .

وهذه لوحة أخرى ، لامرأة مسلمة تخشى الله وتراقبه ، طال عهدها بزوجها ، وقد خرج مجاهدا في سبيل الله ، مع الجيوش التي انطلقت تحرر إرادة الإنسان من جور الطغيان . تتقلب في فراشها ، وتتذكر زوجها . ولكن أين هو منها وقد اشتاقت إليه ، وامتلات نفسها رغبة فيه ، أين الرجل الذي يملأ عليها فراغها ، ويسدّ جوعتها ، وتتقلب سعيدة في نعمائه .

ويسمع عمر رضي الله عنه صوتها، ويحس لوعتها ورغبتها، فيسألها: أردت سوءاً؟ وتحجب: معاذ الله، إنها أبداً الراعية لنفسها، الأمانة على شرفها وشرف زوجها، الحافظة بالغيب على عهدا وعهد وليها. ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِبِينَ﴾ (١).

هذه هي المرأة المسلمة الصابرة القانتة الحافظة للغيب التي أوحى لعمر بن الخطاب بتشريع إجازات الجنود، فقد كتب عمر بعد هذه الحادثة إلى قواد جيوشه ألا يجسوا الجيوش فوق أربعة أشهر.

في هذه اللوحة المعبرة نجد:

- \* القائد الذي يهتم بأمور الرعية الخاصة كما يهتم بأمور الدولة العامة.
- \* والرعية التي أدبها الإسلام فالتزمت بأخلاقه وقيمه.
- \* وسؤال الخليفة أم المؤمنين حفصة، فلا يضير الخليفة أن يسأل عن أمر لم يعرفه!

---

(١) يوسف.

(٣٠)

## ستر المسلم

أخرج هناد والخارث ، عن الشعبي ، أن رجلا أتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال : إن لي ابنة كنت وأدتها في الجاهلية فاستخر جناها قبل أن تموت ، فأدركت معنا الإسلام فأسلمت ، فلما أسلمت أصابها حد من حدود الله - تعالى ، فأخذت الشفرة لتذبح نفسها ، فأدركناها وقد قطعت بعض أوداجها فداويناها حتى برئت ، ثم أقبلت بعد بتوبة حسنة وهي تُخطب إلى القوم ، فأخبرهم من شأنها بالذي كان ؟ فقال عمر : أتعمدُ إلى ما ستر الله فتبيديه ؟ والله لأن أخبرت بشأنها أحدا من الناس لأجعلنك نكالا لأهل الأمصار ، بل أنكحها نكاح العفيفة المسلمة <sup>(١)</sup> .

إن الله ستر يحب الستر :

والله - سبحانه وتعالى - يريد للمجتمع أن يبقى طاهرا نظيفا ، وأولئك الذين يعتدون على حرمة المجتمع قال الله فيهم : ﴿ إِنِّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ <sup>(٢)</sup> .

وليس مهما أن يخطئ الإنسان ، فكل ابن آدم خطاء ، ولكن المهم ألا تشيع الخطيئة في المجتمع المسلم . ومن هنا فقد شدد الإسلام في جريمة الزنا واشترط لثبوتها أربعة شهود عدول رأوا عملية الزنا جهارا نهارا بوضوح كامل وهذا مما لا يمكن تحقيقه في واقع الأمر ، لماذا ؟ قالوا : حتى لا تشيع الفاحشة في المجتمع .

واللوحة التي أمامنا اليوم هي لفتاة أخطأت فتأبّت وحسنت سيرتها ، وعمر بن الخطاب أمير المؤمنين رضي الله عنه يهدد ذوبها إن هم كشفوا سترها أو أذاعوا سرّها أو أخبروا أحدا بخبرها ليجعلنهم نكالا لأهل الأمصار !

(١) كنز العمال (٢ / ١٥٠) .

(٢) النور .

والفتاة المسلمة التي حسنت تربتها ، وسترها مجتمعا وهو يستشعر مسؤوليته تجاهها ،  
كم ستكون عنصر عطاء وتضحية في سبيل مجتمع حرص عليها وأنقذها !

ألا فليتعلم المربون ، أن التربية الإسلامية ليست مجرد نهي وأمر ، أو عقوبة وزجر ، إنما  
هي كذلك عطف ومحبة وحياة فاضلة وستر ، والتربية الإسلامية تهتم بهداية الناس  
واستقامتهم أكثر مما تهتم بزجر الناس وعقابهم .

قد لا ينتبه الدعاة والداعيات إلى الله ، إلى مسؤولياتهم عن المجتمع ، فتراهم يتندرون  
بأخبار الناس ، بقصة فلان أو فلانة ، وهم ساهون عن الجريمة التي ارتكبوها ، فقد  
فضحوا الأستار ، وحدثوا بكل ما سمعوا ، اغتابوا وبهتوا ، وأشاعوا الفاحشة في المجتمع  
المسلم .

سيدنا عمر الذي نشأ في محضن النبوة يعلمنا من خلال هذه القصة : أن الدعوة تعني  
الستر ، وأن الداعية الموفق هو الذي يعمل على ذلك .

هذا هو الأسلوب التربوي القويم ، وكذلك فليفعل الدعاة في مثل هذه المواقف .

(٣١)

## بين بلال وخالد بن الوليد

(الموقف في مسجد مدينة حمص ، وفيه كلُّ من أبي عبيدة عامر بن الجراح ، وبلال بن رباح ، ومعاذ بن جبل).

أبو عبيدة : اذهب الآن يا معاذ إلى خالد بن الوليد وأحضره معك .

معاذ : سمعا يا أبا عبيدة .

أبو عبيدة : تلتطف به جهدي يا بن جبل .

معاذ : سأفعل .

أبو عبيدة : مالي أراك واجفا يا بلال؟ ما خطبك؟

بلال : وكيف لي لا أجف يا أبا عبيدة وقد رأيتك أنت تجف .

أبو عبيدة : اللهم ثبت قلوبنا على الحق، واعصمنا من الزلل .

بلال : أتذكر يا أبا عبيدة إذ كان أمية بن خلف يطرحني على ظهري في بطحاء مكة إذا حميت الظهيرة ، ويضع الصخرة العظيمة على صدري ، ويقول لي : لأتركك هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد؟

أبو عبيدة : نعم أذكر.

بلال : والله إن هذا الذي أنا مقدم عليه اليوم لأشق عليّ من ذاك ، كيف أعمد أنا بلال ابن حمامة (نسبة إلى حمامة أم بلال) إلى خالد بن الوليد بطل الإسلام ، وفارس المسلمين ، وسيف الله المسلول فأنزل عمامته على رؤوس الأشهاد .

أبو عبيدة : هذا أمر أمير المؤمنين .

بلال : أفلا تقوم به أنت يا أبا عبيدة وتكفينيه جزاك الله خيرا؟

أبو عبيدة : ويحك يا بلال ، أو قد نسيت أن النبي ﷺ آخى بيني وبينك؟

بلال : كلا ما نسيت ذلك، ولكن خالدا سيكون أهون عليه أن تقوم بذلك من أن أقوم أنا به . (كل ما يهمة ألا يجرح مشاعر خالد بن الوليد سيف الله المسلول) .

أبو عبيدة : لا حق له إن فعل ، أنت سيدنا وعتيق سيدنا، ومؤذن رسولنا ﷺ . (خاف على مشاعر أخيه بلال) .

بلال : سيظن ابن الوليد ما لا نحب أن يظنه .

أبو عبيدة : فليظن ابن الوليد ما يشاء ، فلقد قصد أمير المؤمنين هذا المعنى إذ اختارك لهذه المهمة ، فكيف ويحك تريد أن تسندها إلي؟ إذن والله ليغضبن أمير المؤمنين عليك .

بلال : صدقت ، لقد أمرني هو أن أتولى ذلك بنفسي ، قال لي : يا بلال انزع عمامته ، وقيد بها يديه من خلفه على ملاء من الناس ، وبحضور أبي عبيدة . (ثم يدخل الناس أفواجا في المسجد ، ثم يدخل معاذ بن جبل ومعه خالد بن الوليد في نفر من أصحابه فيهم رومانوس (قائد روماني أسلم وحسن إسلامه وشارك المسلمين في كثير من حروبهم ، تزوج خولة بنت الأزور) ورافع بن عميرة ، ومذعور بن عدي . حتى جلسوا في الصف الأول أمام أبي عبيدة . وما هي إلا لحظات حتى وقف رجل مسلم بين الجالسين وصرخ بأعلى صوته موجه الكلام إلى أبي عبيدة قائلا :

الرجل : يا أبا عبيدة ، هل تأذن لمسلم أقمت عليه حد الخمر أمس؟

أبو عبيدة : يغفر الله لك يا أبا جندل، ما عندك؟

أبو جندل : ماذا فعل الله بصاحبنا ضرار بن الأزور؟

أبو عبيدة : إنه لم يحضر إلينا من قيسارية .

أبو جندل : أفي الحق يا صاحب رسول الله أن تحضرني أنا وأصحابي بالشرطة أول

أمس ، وتنتظر ضرار بن الأزور حتى يجيئك من تلقاء نفسه متى يشاء؟

أبو عبيدة : لقد بعثنا إلى عمرو بن العاص ليرسله إلينا في الحال .

أبو جندل : قيل لنا : إنك أردت أن تؤثره علينا فتركته في قيسارية وأقمت علينا الحد من دونه .

أبو عبيدة : معاذ الله ، وماذا يحملني على ذلك؟

أبو جندل : قيل لنا : إنك راعيت مكانه من خالد بن الوليد فقبلت شفاعته فيه.

أبو عبيدة : ومن قال لك ذلك؟

أبو جندل : كلا لا أخبرك به .

أبو عبيدة : يقول الله - تبارك وتعالى : ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ (١) . والله ما كلمني خالد في أمر ضرار بن الأزور ، ولو فعله ما شفعت فيه ؛ فإنه لا شفاعاة في الحدود .

أبو جندل : كان ينبغي عليك إذن أبا عبيدة أن تكون قد أرسلت في طلبه فأحضره إليك قبل أن نحضرنا وتسألنا أمام الناس ، وتقيم علينا الحد فعسى أن يبلغه ما كان فيهرب من الحد ، فلا تستطيع أن تقيمه عليه .

أبو عبيدة : وأنى له المهرب يا أبا جندل؟

أبو جندل : لقد سمعناه يقول : والله لا أرضى أبدا أن أجلد كما يجلد العبد .

أبو عبيدة : وما شأننا بما يقول؟ والله لنقيمنه كما أقمناكم ، ولنسألنه عن الخمر كما سألناكم ؛ فإن قال : إنها حلال قتلناه ، وإن قال : إنها حرام جلدناه كما يجلد العبد ولا كرامة .

خالد : (ينهض) يا أبا عبيدة ، ما كان الله ليخزي ضرار بن الأزور .

أبو جندل : أرايت يا أبا عبيدة ؟ أرايتم أيها المسلمون؟

---

(١) الحجرات .

أبو عبيدة : ما خطبك يا أبا سليان؟ إنها حدود الله يطهر بها قوما ويخزي بها آخرين .

أبا جندل : لقد صح إذن ما قيل .

خالد : يا أبا جندل ، ويا أبا عبيدة، ويا أيها المسلمون جميعا ترحموا على أخيكم ضرار ابن الأزور.

الجميع : أو قد مات ضرار؟

خالد : استشهد على أسوار قيسارية ، فأعظم الله أجركم فيه ، لقد كان والله مجاهدا مغوارا لم ينب له سيف ولم تنثن له قناة ولم يطش له سهم . ما كان الله ليخزي ضرار بن الأزور أبدا . (تغلبه العبرة فيقف واجها مندهشا) .

رومانوس : (ينفض إلى أبي عبيدة ويناول كتاباً) ويقول له : هذا كتاب عمرو بن العاص يا أبا عبيدة (ثم يعود إلى مكانه) .

خالد : (يرفع يديه إلى السماء ويدعو) : اللهم إن ضرارا كان يخرج في الليلة الباردة القريرة عريان إلا بما يستر عورته فيجاهد في سبيلك ، ويقتحم الجيش اللهم العظيم للعدو ، ولا يهاب الرماح ولا السهام ولا السيوف ، اللهم فاغفر له ما أذنب في حقل وما أذنب في كبير ، اللهم إن كان يسخطك عليه أنه شرب في الشام بعض الخمر فاغفر له . اللهم وأرزأه من نصيبه من خمر الجنة، فإنك قلت في كتابك : ﴿ وَأَنْهَرُ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ﴾ <sup>(١)</sup> . (يجلس فيضج الناس بالبكاء).

أبو عبيدة : (يرى بعض الناس يقومون لينصرفوا فيقول لهم): انتظروا أيها الناس لا تقوموا حتى تسمعوا ما أمر به أمير المؤمنين في خالد بن الوليد ، قم يا بلال (ينظر الناس بعضهم إلى بعض في دهشة فيتقدم بلال نحو خالد ويقول له بلال) :

يا خالد بن الوليد ... إن أمير المؤمنين أمرني أن أسألك أمام الناس ، أمن مالك أجزت الأشعث بن قيس بعشرة آلاف أم من إصابة أصبتها؟ يدهش خالد فينظر إلى أبي عبيدة ، وينظر إليه أبو عبيدة في حنان .

(١) محمد : ١٥ .

بلال : أمن مالك أجزت الأشعث بن قيس بعشرة آلاف درهم أم من إصابة أصبتها ؟  
خالد : ( لا يجيب ) .

بلال : إن أمير المؤمنين أمر أن تعقل بعمامتك ، وأن تنزع قلنسوتك حتى تجيب عما  
تسأل الآن عنه . ( يحل عمامة خالد ويعقل بها يديه من وراء ظهره ثم ينزع قلنسوته ) . ما  
تقول يا خالد ؟ من مالك أم من إصابة أصبتها ؟ تصدر عن جموع المسلمين همهمة ، فيقف  
أبو جندل وسط المسجد ويقول أبو جندل :

كلا يا قوم لقد بلغ السيل الزبى ، ما هكذا يعامل الأبطال ؟

خالد : اسكت يا أبا جندل ، لا تكن داعي خلاف وفتنة .

أبو جندل : يا سيف الله ، إنما أردت أن أذب عنك .

خالد : لا أريد أن يذب عني أحد .

أبو جندل : ( بصوت متهدج ) بأبي أنت وأمي يا أبا سليمان ساعني فيما بدر مني في  
حقك ، ساعني يا أبا سليمان .

خالد : ساحتك يا بن سهيل بن عمرو .

بلال : أجبني يا خالد ، من مالك أجزت الأشعث بن قيس أم من إصابة أصبتها ؟

خالد : بل من مالي .

أبو عبيدة : ( يتنفس الصعداء ) الحمد لله .

بلال : ( يطلقه ويعيد قلنسوته ويعممه بيده ) نسمع ونطيع لولاتنا ( يقبل رأس خالد )  
ونفخم ونخدم موالينا .

خالد : ( كالمنكر لتقبيل رأسه وكالمستغرب ) مه يا ابن حمامة ، يا ليت لي مثل فضلك  
وسابقتك . إذن .

بلال : إذن ماذا يا سيف الله ؟

خالد : هيهات يا ابن حمامة ، حال الجريض دون القريض (أي غصة الموت منعت من نظم الشعر) .

معاذ : صدقت يا أبا سليمان وقول الله - جل جلاله - هو الأصدق : ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنْ أَهْوَىٰ ۖ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ (١) .

أبو عبيدة : أيها الناس ، انصرفوا يرحمكم الله ، فقد قضينا ما أمر به أمير المؤمنين .

عندما ننظر في هذا الموقف الصعب بين بطل جند نفسه وكل ما يملك للجهاد في سبيل الله ، وبين أصحابه الذين يقدرونه ويحترمونه ، وطلب مساءلته بأمر أمير المؤمنين ، كل ذلك الإحراج لم يثن المسؤول عن تنفيذ أمر القائد الأعلى مع كل ما يحس به من مشاعر ، فتقوى الله فوق أي إحراج ، وكذلك المنفذ لهذه المسألة (بلال) كان مجهدا جهدا نفسيا هائلا تجاه أخيه خالد ، ومع ذلك نفذ ما أمر به ، أما خالد البطل لم يغضب لذاته وامثل للأوامر ، ولم يتجاوب مع من دافع عنه لأنه يعلم بأن الله يراه وأن الفتنة فرقة وضعف وهو لا يريد لها حتى لا تنبيه عن تحقيق هدفه المنشود .

هكذا كان الجند الأول الذين حملوا الإسلام ، عقيدة في قلوبهم ، وسلوكا في جوارحهم ، وإخلاصا لله في جهادهم ، وطاعة لأولي الأمر في تنفيذ أوامرهم ، وعلى الجيل الجديد أن يقتدي بهؤلاء العظماء .

## أنا عربية وهي مولاة

عن عيسى بن عبد الله الهاشمي ، عن أبيه ، عن جده قال : أتت عليا عليه السلام امرأتان تسألانه ، عربية ومولاة لها . فأمر لكل واحدة منهما بكرّ (مكيال) من طعام ، وأربعين درهما ، فأخذت المولاة الذي أعطيت وذهبت . وقالت العربية : يا أمير المؤمنين تعطيني مثل الذي أعطيت هذه ، وأنا عربية وهي مولاة ؟

قال لها علي عليه السلام : (إني نظرت في كتاب الله - عزّ وجل - فلم أر فيه فضلا لولد إسماعيل على ولد اسحاق عليهما الصلاة والسلام) .

وكيف يفرق علي عليه السلام في العطاء بين عربية ومولاة؟! وقد جاء الإسلام أساسا لردم هذه الهوة المهينة للإنسانية الإنسان ، باختلاف الألسن والأجناس والألوان إنما هي آيات من آيات الله ، ليست مدعاة للتفاضل والتفاخر والتعصب المذموم ، فالله سبحانه وتعالى يقول : ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾<sup>(١)</sup> .

وإذا كانت هذه العربية لم تفهم مقاصد الإسلام بعد ، وما زالت تدعو بدعوى الجاهلية ، وما زالت تحسب أن عربيتها ستجعلها أقرب للإسلام وأقرب لنبي الإسلام من غيرها من المسلمين ، فليفهمها الخليفة علي عليه السلام حقيقة الموقف .

ولقد فعل سيدنا علي عليه السلام بأسلوب رائع فأخبرها - وهو الخبير - بأنه نظر في كتاب الله فلم يجد أن الناس يتفاضلون على أساس الجنس أو اللون ، ولم ير فضلا لولد إسماعيل (العرب) على ولد إسحاق (الأعاجم) ، والناس كلهم لآدم وآدم من تراب .

(١) الحجرات : ١٣ .

وهذا درس لكل الدعاة الذين قرروا المضي في ركب الدعوة ألا يعيروا انتباهها للشيطان ولا لحفظة تعاليمه ، وليضعوا نصب أعينهم تعاليم نبي الرحمة الذي يقول : « المسلم أخو المسلم لا يسلمه ولا يظلمه » .

وإذا كانت المجتمعات في قديم الناس وحديثهم تتفاضل بالأموال فيقدمون الأغنى ، ويتفاضلون بالقبيلة فهذه أعرق وأقوى ، ويتفاضلون بالقوة ، والجاه ، والعنصر ، فإن للإسلام اعتبارات أخرى .

يرى الإسلام أن عصبية العشيرة والقبيلة والقوم والجنس واللون والأرض عصبيات صغيرة متخلفة ، عصبية جاهلية عرفتها البشرية في فترات انحطاطها الروحي ، وسماها رسول الله ﷺ (متنتة) بهذا الوصف الذي يفوح منه التقزز والاشمئزاز : ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ آلِهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (١) .

بعض الدعاة إلى الله لا يميزون ، فتراهم يدورون مع عصبيتهم حيث دارت ، يتصورون أنهم بذلك يخدمون الدعوة ، ولو صدقوا مع أنفسهم لقالوا : إنما يخدمون أنفسهم وقومهم ، ألا فليعلم المرتبون أن الحق في الاستقامة ، والقوة مع المبدأ القويم ، وليس بعد الحق إلا الضلال .

قلب (إن شئت) صفحات التاريخ الإسلامي ، وستجد أن هذه العصبية المتنتة ، هي التي وأدت عظمتنا ، وأساءت إلى قيمنا ، وأركستنا مرة أخرى في حمأة الجاهلية .

سيدنا علي عليه السلام يعطينا (من خلال هذه القصة) درسا ميدانيا في التربية ، والمطلوب من الدعاة أن يستوعبوه .

---

(١) التوبة .

## يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية

أثناء الحرب التي دارت بين علي ومعاوية رضي الله عنهما ، خرج فريق من جند علي كفرّ عليا وكفرّ معاوية وجاؤوا بأمور لم تكن معروفة من قبل ، وذهب ابن عباس عليه السلام إليهم ليوضح الحق ، ويكشف الشبهة .

قال ابن عباس عليه السلام : دخلت عليهم وهم قائلون ، فإذا هم مسهدة وجوههم من السهر ، قد أثر السجود في جباههم ، كأن أيديهم ثفن الإبل ، فقالوا : ما جاء بك يا ابن عباس؟ وما هذه الحلة التي عليك؟

قلت : ما تعيون من ذلك؟ فلقد رأيت رسول الله ﷺ وعليه أحسن ما يكون من الثياب اليمينية ، ثم قرأت ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ <sup>(١)</sup> . فقالوا : ما جاء بك؟ قال : جئكم من عند أصحاب رسول الله ﷺ وليس فيكم منهم أحد ، ومن عند ابن عم رسول الله ﷺ وعليهم نزل القرآن ، وهم أعلم بتأويله ، جئت لأبلغكم عنهم ، وأبلغهم عنكم . فقال : بعضهم : لا تخاصموا قريشا؛ فإن الله يقول : ﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ <sup>(٢)</sup> . فقال بعضهم : بلى فلنكلّمه ، قال : فكلمني منهم رجلا أو ثلاثة . قلت : ماذا تقمتم عليه؟ قالوا : ثلاثا :

الأولى : أنه حكّم الرجال في أمر الله ، وقال تعالى : ﴿ إِنْ أَلْحَكُمُ إِلَّا إِلَهُ ﴾ <sup>(٣)</sup> .

والثانية : فإنه قاتل ، فلم يسب ، ولم يغنم ، فلئن كانوا مؤمنين ما حلّ قتالهم ، ولئن كانوا كافرين ، لقد حلّ قتالهم وسيبهم .

(١) الأعراف : ٣٢ .

(٢) الزخرف .

(٣) الأنعام : ٥٧ .

والثالثة : محا نفسه من إمرة المؤمنين ، فإن لم يكن أمير المؤمنين ، فهو أمير الكافرين .

قلت : أرايتم إن أتيتكم من كتاب الله وسنة رسوله بما ينقض قولكم هذا ، أترجعون؟ قالوا : وما لنا لا نرجع!!

قلت : أما قولكم : (حَكَّم الرجال في أمر الله) إن الله قال في كتابه : ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيِّدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنْ النَّعْمِ بِحَكْمِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ <sup>(١)</sup> . وقال في المرأة وزوجها : ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْتَغُوا حَكْمًا مِنْ أَهْلِيهِ وَحَكْمًا مِنْ أَهْلِهَا﴾ <sup>(٢)</sup> . فصير الله ذلك إلى حكم الرجال ، فناشدتكم الله ! أتعلمون حكم الرجال في دماء المسلمين ، وفي إصلاح ذات بينهم أفضل ، أو في دم أرنب ثمنه ربع درهم؟ وفي بضع امرأة قالوا : بل هذا أفضل . قال : أخرجتم من هذه ؟ قالوا : نعم .

قال : وأما قولكم : (قاتل ولم يسب، ولم يغنم) أتسبون أمكم عائشة؟ فإن قلتُم : نسيها، فنستحل ما نستحل من غيرها، فقد كفرتم ، وإن قلتُم : ليست بأمتنا فقد كفرتم ، فأنتُم ترددون بين ضلالتين ، أخرجتم من هذه ؟ قالوا : بلى .

قال : وأما قولكم : (محا نفسه من إمرة المسلمين) فأنا آتيتكم بمن ترضون ، إن نبي الله يوم الحديبية حين صالح أبا سفيان وسهيل بن عمرو، قال رسول الله ﷺ : « اكتب يا علي : هذا ما صالح عليه محمد رسول الله » ، فقال أبو سفيان وسهيل بن عمرو : ما نعلم أنك رسول الله ، ولو نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك . قال رسول الله ﷺ : « اللهم إنك تعلم أني رسولك ، يا علي اكتب : هذا ما اصطلح عليه محمد بن عبد الله وأبو سفيان وسهيل بن عمرو » .

لقد كان ابن عباس بحرا زخارا ، كشف الشبهة ودحضها ، وأتى بالأدلة البينة من الكتاب والسنة ، ولقد أثمرت جهوده فرجع منهم عن باطلهم ألفان <sup>(٣)</sup> .

(١) المائدة : ٩٥ .

(٢) النساء : ٣٥ .

(٣) جولة في رياض العلماء : د . عمر الأشقر .

## أسلوب الحوار :

في هذا النص الذي أمامنا درسٌ عظيم استخدم فيه ابن عباس رضي الله عنه الحوار الهادئ المقترن بالدليل :

١ - لقد كان ابن عباس معلماً عندما قال لهم : لقد جئتمكم من عند أصحاب رسول الله ﷺ وليس فيكم منهم أحد ، ومن عند ابن عم رسول الله ﷺ وعليهم نزل القرآن ، وهم أعلم بتأويله . وهذا أمرٌ ضروري لإنجاح الحوار بأن يشعر المقابل بأنك أعلم منه ، وهذه هي طبيعة المتعلم ألا يأخذ إلا من معلم أعلى منه درجة .

٢ - وامتلك ابن عباس مهارة حسن الاستماع ، فامتص غضبهم بإعطائهم الفرصة الكافية لشرح وجهة نظرهم ، وهو حين يستمع إليهم يعطي لنفسه الفرصة لاستيعاب ما يقولون ويحضر إجابته المناسبة .

٣ - وجاء بالدليل العلمي الذي يفهمه هؤلاء من الكتاب والسنة . فأثبت لهم (بالحلم والصبر) عكس ما يقولون ، فنقلهم من الكفر إلى الإيمان .

وهكذا فإننا مهما اختلفنا مع الآخرين ، ومهما كانت البيئات النفسية التي تحيط بالمختلفين متباينة ، فإن هناك دائماً مجالاً يمكننا للانتقال بمعلوماتنا إلى العقل الآخر والتأثير عليه من النقيض إلى النقيض .

## أبعث معكم القوي الأمين

حدّث محمد بن جعفر ، قال : قدم وفد من النصارى على رسول الله ﷺ فقالوا : يا أبا القاسم ابعث معنا رجلا من أصحابك ترضاه لنا يحكم بيننا في أشياء من أموالنا اختلفنا فيها ، فإنكم عندنا - معشر المسلمين - مرضيون .

فقال رسول الله ﷺ : « ائتوني العشيّة أبعث معكم القوي الأمين » . فلما صلى رسول الله ﷺ الظهر ، جعل ينظر عن يمينه وعن يساره ، حتى رأى أبا عبيدة بن الجراح ، فدعاه فقال : « اخرج معهم فاقض بينهم بالحق » .

### اكتشاف الطاقات :

إن النظر في مثل هذه الحوادث يعرفنا المنهج الذي اتبعه الرسول القائد ﷺ في تربية أصحابه ، فالقائد هنا يعرف أصحابه جيدا ، ويعرف نقاط القوة عند كل واحد منهم ، فعندما قال قوله تلك : « أبعث معكم القوي الأمين » ، اشترأت أعناق الصحابة ، يتمنى كل واحد منهم أن يكون صاحب ذلك الوصف ، وكان أبو عبيدة بن الجراح هو المطلوب . مثل هذه العلامة الفارقة والصفة المميزة ، أطلقها رسول الله على الكثيرين من أصحابه : فهذا الصديق ، وذاك الفاروق ، وذاك أمين هذه الأمة ، وهذا سيف الله المسلول ، وهذا غلام مُعَلَّمٌ وهكذا .

وهذا الوصف الذي أطلقه رسول الله ﷺ ، تعمقت صفته في نفوس هؤلاء فأصبحوا أعلاما عظماء تباينت أشكال عظمتهم ، بتباين الأوصاف التي أطلقها عليهم القائد المربي .

وهذا أسلوب فريد في التربية ، فما أن يلمح المربي صفة بارزة عند أحد إخوانه حتى يعلنها على رؤوس الأشهاد ، ويعمقها وينميها عنده .

وكم من الكلمات صنعت أبطالا، وصارت مثلا، وغيّرت مجرى التاريخ .

هكذا تكون التربية الناجحة ، وكذلك فليفعل المربون